



رؤي المفكرين المعاصرين حول إعادة صياغة القانون الإسلامي

THE VISION OF MODERN MUSLIM THINKERS ABOUT THE REFORMULATION OF ISLAMIC LAW

1- Saifullah Bhutto

Associate Professor, Deptt of Basic Sciences
,Quaid-e-Awam university of Eng, Science &
Tecnology Nawabshah, Sindh, Pakistan
Email: bhuttosaiyfullah@quest.edu.pk

ORCID ID:

<https://orcid.org/0000-0001-9503-6425>

To cite this article:

Bhutto, Saifullah, and Muhammad Ajmal. "THE VISION OF MODERN MUSLIM THINKERS ABOUT THE REFORMULATION OF ISLAMIC LAW." The Scholar-Islamic Academic Research Journal 6, No. 1 (May 31, 2020): 68–86.

2. Muhammad Ajmal

Ph.D Scholar, Department of Islamic and
Religious Studies, Hazara University,
Mansehra

Email: ajmal13101@gmail.com

ORCID ID:

<https://orcid.org/0000-0002-7274-2412>

To link to this article: <https://doi.org/10.29370/siarj/issue10ararabic4>

Journal

The Scholar Islamic Academic Research Journal
Vol. 6, No. 1 || Janurary -June 2020 || P. 68-86
Research Gateway Society

Publisher

DOI:

10.29370/siarj/issue10ararabic4

URL:

<https://doi.org/10.29370/siarj/issue10ararabic4>

License:

Copyright c 2017 NC-SA 4.0

Journal homepage

www.siarj.com

Published online:

2019-05-31



رؤي المفكرين المعاصرين حول إعادة صياغة القانون الإسلامي

THE VISION OF MODERN MUSLIM THINKERS ABOUT THE
REFORMULATION OF ISLAMIC LAW

Saifullah Bhutto, Muhammad Ajmal

ABSTRACT:

The need to revive the Islamic viewpoint on modern issues has intensified due to major economic, social, and state structural changes. It is a big challenge for Muslim jurists & reformists/revivalists to make important issues concordant with both the teachings of the Shariah & the demands of the modern age. Some examples of these issues include family laws and women working, the issue of half compensation for women in case of murder, solving the issue of women travelling without blood relative (Muharram) while keeping in mind the modern means of transport. The issues related to non-Muslims like acceptance of their witness, equality of Muslim & non-Muslim citizens in political & social affairs. Protection of rights of Muslims living in non-Muslim countries and finding solution of problems they face. Political issues including electoral method, structures of governments. General social issues e.g. legal position and restrictions of family planning. Economic issues like interest-free banking, leasing, and devaluation of currency as a result of inflation. Medical issues like donation & transplantation of organs, cloning etc. Beyond these, there are several judicial & legal issues which need to be reviewed collectively through Ijtihad (the Islamic mechanism of solving problems of every age with deep thought & consideration). Some Muslim scholars have presented their opinion about these issues. We have presented in this

paper the views of some of these modern Muslim scholars/thinkers like Sir Syed Ahmad Khan, Allamah Muhammad Iqbal and Jamaluddin Afghani. These three were the progressive, moderate and reformist figures of subcontinent who played a significant role in the awakening of Muslim Ummah.

KEYWORDS: Islamic Law, Reforms, Ijtihad, Revival of Islamic Law, Allama Iqbal, Sir Syed Ahmad Khan, Jamaluddin Afghani.

الكلمات المفتاحية: الإجهاد، الإصلاحات، القانون الإسلامي، العلامة محمد إقبال، سر سيد أحمد خان، جمال الدين الأفغاني، صياغة.

المدخل:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، و يصبرون منهم على الأذى. يحيون بكتاب الله الموتى، ويصرون بنور الله أهل العمى.¹

والصلوة و السلام على رسوله الكريم الذي قال: " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين و تأويل الجاهلين و انتحال المبطلين".²
وقد هيا الله تعالى لهذه الأمة علمائها لقيادة الأمة، خاصة عند الملمات، فاختار لها من العلماء العاملين من يقودهم و يرشدهم إلى الحق، لتكون حجة الله قائمة بهم إلى قيام

¹ Al-Imam Ahmed bin Hanbal, *Muqaddamah Al-radd Alal Jahmiyah –wal Zinadiqah*, Tehqeeq, Abdul Rehman, Darul Iwaa, Riyaz, 1397. AH. p. 58.

² Al-Aajir, Al-Imam Abu Bakr Muhammad bin Al-Hussain, *Al-Sharia*, Ansar ul Sunnah, Lahore, P. 20.

الساعة، فهم وراثو النبوة، وهم النجوم يهتدى بها في الظلمات، فقيض الله لدينه الخاتم عند رأس كل مئة عام من يقوم بتجديد معالمه، وإحياء ما اندرس منه.

وقد قام العلماء العاملون بهذه المهمة (تجديد الدين) حق القيام منذ فجر الإسلام، و إلى اليوم، مدافعون عن الحق، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، و إنتحال المبطلين.

و الأمة الإسلامية اليوم تعيش على مفترق الطرق، حيث تكالبت عليها أمم الكفر و الشرك.

ناهيك عما اصاب الأمة من داخلها -اذ تفرقت إلى شيع و أحزاب، و مذاهب، و جماعات مفترقة، وإفتراق و إختلاف.

كما ظهرت بعض الإتجاهات لتجديد الدين من بعض العقلانيين و العصريين نادوا به على ضوء أصول و قواعد ارتضوها و وضعوها لأنفسهم فنحوا بالتحديد منحى آخر لم يألفه السلف الصالح ومن هذه الإتجاهات ظهر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، الإتجاهات العقلانية والعصرانية والحداثيّة وغيرها، توجد هذه الإتجاهات لدى كثير من المفكرين و الأدباء والمثقفين والدعاة الحزبيين و غير الحزبيين.

1. ظهورالعصرانية* في الفكر الإسلامي الحديث:

عاشت أوربا عصر النهضة الحديثة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي في كل مناحي الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية، مقابل ما منت به الدول العربية والإسلامية بكثير من التدهور والانحلال والتفكك واعقب ذلك إرسال البعثات العلمية خاصة إلى البلاد الغربية، وإرسال خبراء و أساتذة للتدريس في الجامعات العربية، حيث تأثر كثير من

*العصرانية مصطلح حادث و هي حكة تجديدية ظهرت في العصر الحديث في الغرب في الديانة اليهودية النصرانية، وهي: حكة تدعو إلى تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية المعاصرة، و إخضاع الدين لإكتشافات العصر والحضارة الغربية- الشيخ الحامد الناصر: العصريون بين مزاعم التجديد، ص 5، ط. مكتبة الكوثر بالرياض ط. 1.

المتقنين والمفكرين من أبناء المسلمين بما عند هؤلاء الأوربيين، وكان من أشهر أولئك المتأثرين بما شاهدوا في الغرب، رفاة الطهطاوي و خيرالدين التونسي ثم تلى هذا الجيل، جيل من جمال الدين الأفغاني، و السيد أحمد خان و مُجَّد عبده و طه حسين وغيرهم، ومرورا بعلي عبدالرزاق و قاسم أمين و مُجَّد إقبال ومن على شاكلتهم.³

وكان لكل منهم لهم فكرهم ومنهاج خاص بهم للإصلاح والتجديد وإعادة صياغة القانون الإسلامي من جديد، كما أرشدوا إلى قواعد هادية بهذا الخصوص إضافة إلى ما لهم من آراء إجتهدية خاصة بهم في القضايا الفقهية والتشريعية. ونحن في هذا المقال سنقوم بعرض أفكار ثلاثة من زعماء الإصلاح الحديث الذين برزوا في شبه القارة الهندية وهم: سر سيد أحمد خان و جمال الدين الأفغاني و مُجَّد إقبال.

2. سر سيد احمد خان: ولد سر سيد أحمد في دهلي في أسرة من علية القوم عريقة وذات صلة وطيدة بالحكام المغول و إن كانت فقيرة ونشأ في جو مشبع للتصوف. وقرأ في صغره القرآن وعلوم اللغة والعربية والفارسية ولكن لم يكد يمضي في هذه الدراسة قليلا إلا ورغب عنها ونفض يده منها، وعلى يد أحد أفراد عائلته أخذ يتعلم الرياضيات وعلم الهيئة، ولم يكن حظه فيها إلا كحظه في دراسة الأولى وانقطع أخيرا عن التعلم في سن الثامنة عشر وعاش في شبابه حياة مرح يحضر حفلات الرقص والغناء الشائعة في طبقته.⁴

وفي سن الثانية والعشرين اضطر سبب وفاة والده للإلتحاق بخدمة الحكومة الإنجليزية في سلك القضاء و عمل في عدد من المدن الهندية. وبعد فترة ثاب إلى نفسه وبدأ في تغيير حياته وإصلاحها و أقبل على التعلم من جديد، ثم ألف عددا من الكتب في السيرة النبوية والتاريخ. وكان إخفاق الثورة الهندية عام 1857م نقطة تحول في حياته إذ رأى بأم عينيه

³ Abdul Aziz Mukhtar Ibrahim, *Al-Asranyoon wa al-Mafhoom li Tajdid din*, Maktabah Rushd, Riyaz. vol. 1, P. 26-27,

⁴ Danish Gah Punjab, *Urdu, Dairatul Maarif Islamiyah*, Department of Urdu, University of Punjab, Lahore, 2006, P. 4, 114-115.

المأساة التي عاشها المسلمون وسقوط دولتهم الخراب والدمار الذي لحقهم. ومنذ أول وهله كان يدرك ان تلك الثورة نتيجتها الفشل فلماذا وقف في أثناءها يناصر الإنجليز ويساعد في حمايتهم. لقد أيقن أن ولاء المسلمين للحكم الإنجليزي هو السبيل الوحيد لإنقاذهم، ولم يكن ذلك موفقا سياسيا فحسب بل كان نابعا من إعجابه المفرد بالإنجليز وبحضارتهم وعلومهم. ولهذا جعل نصب عينيه منذ تلك اللحظة هدفا سعي لتحقيقه طول حياته، وهو أن يقلد المسلمون الإنجليز والحضارة الغربية في كل شيء مما جعل "جون ميكدونالد" الذي كان محررا آنذاك في إحدى صحف إله آباد يصفه وزمره التي بدأت تلتف حوله من المسلمين بأنهم "إنجليز في كل شيء باستثناء العناصر الأساسية لعقيدتهم الدينية".⁵

يعتبر بعض الكتاب سر سيد أحمد خان رائد العصرية في العالم الإسلامي. فقد كان سيد أحمد أول رجل في الهند الحديثة يتحقق من ضرورة وجود تفسير جديد للإسلام تفسير تحرري وحديث وتقدمي ولم يكن سيد أحمد خان أول ممثل للنزعة العصرية فحسب بل كان نموذجاً كاملاً بها و كل الذين جاؤا من بعده لم يضيفوا شيئا جديدا بل كانوا يريدون صياغة أفكاره بصورة أو أخرى. و إذا أمعنا النظر في تعريف العصرية التي هي في جملتها محاولة للتوفيق بين الدين والعصر الحديث بإعادة تأويل الدين و تفسير تعاليمه في ضوء المعارف العصرية الساعده، فإن هذا التفريق برمته ينطبق على المدرسة الفكرية التي أنشأها سيد أحمد خان، تلك المدرسة التي قامت على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية وإقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علاقتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيراً يطابقان ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر المسيحي، ويطابقان

⁵ Bistami, Muhammad Saeed, *Mafhoom Tajdid din*, Darul Dawat, Kuwait, 1984, P. 120.

هوى الغربيين وآرائهم وأذواقهم والإستهائية بما لا يثبت الحس والتجربة ولا تقرره علوم الطبيعة في بادئ النظر من الحقائق الغيبية.⁶

2.1 آراء سيد احمد خان:

اعتبر سيد احمد خان القرآن وحده الأساس لفهم الإسلام مستشهداً لذلك بقول لعمر بن الخطاب "حسبنا كتاب الله" وفي ضوء الظروف الجديدة وتوسع المعروف الإنسانية لا يمكن الإعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة وحدها التي اشتملت على كثير من الخرافات، ولكن ينبغي الإعتماد على نص القرآن وحده الذي هو بحق كلمة الله، ومن خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية يمكن لنا أن نفسر القرآن تفسيراً عصرياً، والقرآن وحده عند سيد أحمد خان هو الأساس لفهم الدين.⁷ أما الأحاديث فلا يعتمد عليها، ويثير في هذا الموطن بعض الشبهات، فالأحاديث غير صالحة للإحتجاج، كما يزعم أنها لم تدون في العهد النبوي بل دونت في القرن الثاني من الهجرة في عصر مضطرب بالصراعات السياسية والإختلافات الدينية، ولهذا فهو يقبل من الأحاديث فقط ما يتفق مع نص و روح القرآن، وما يتفق مع العقل والتجربة البشرية وما لا يناقض حقائق التاريخ الثابتة، كما لا يقبل الأحاديث الخاصة بالأمور الدنيوية التي تشمل المسائل السياسية والإدارية والإجتماعية والإقتصادية. ويظهر بأن الشبهات التي أثارها سيد أحمد خان حول الحديث ومؤلفاته لا تختلف كثيراً في النهاية ما وصل إليه المستشرقون أمثال جولد تسهير وجوزف شاخ.⁸

ويسخر سيد خان من أولئك الذين يظنون أن كل شيء قد اكتمل على أيدي الفقهاء الأقدمين فمن المنافي للعقل، كما يرى أن تخيل أن أحكامهم التي توصلوا إليها في الظروف

⁶ Ibid. p. 121-122.

⁷ Islahi, Zafarul Islam, "Sir Sayed Aor Ijtihad", *Monthly Urdu Dunya*, Delhi, Nov. 2002, P. 17; Pani Patti, Shaikh Muhammad Ismail, *Maqalat Sir Sayed*, Majlis Taraqqi Adab, Lahore, 1962, vol. 13, P. 39.

⁸ Muhammad Akram Shaikh, *Moj Kosar*, Idarah Thaqafat Islamiah, Lahore, 1997, P. 156-168.

الخاصة بأيامهم صالحة أيضاً لعصرنا الحديث، وذلك لأن حاجات عصرنا في رأيه تختلف كلية عن حاجات عصرهم، فلهذا يدعو إلى أن نكف عن الولاء الأعمى لهم وحماس بالغ يقول: إننا أتباع الإسلام ولسنا أتباع زيد وعمرو! إن أحكام هؤلاء الفقهاء غير ملزمة لنا والأحكام الملزمة الوحيدة ما جاءت به النصوص (ونعيد إلى الأذهان هنا موقفه السابق من النصوص).

ولا يرفض سيد أحمد خان قبول آراء الفقهاء السابقين في صورتها الفردية فقط بل حتى ولو كانت هذه الآراء جماعية فهو لا يعترف بتاتا بالإجماع مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

إن باب الإجتهد في نظره مفتوح في كل المسائل ولا يجب تقييده بآراء مجموعة من الفقهاء اتفقت على شيء في عصر معين من الممكن كما يحتج أن يكون سبب إتفاقهم ذلك ناجماً عن ظروف خاصة، وبتغيير هذه الظروف يفقد مثل هذا الإتفاق أهميته. ويدعو سيد أحمد خان إلى الإجتهد-بالطبع الإجتهد المبني على أسسه وقواعده هو ولا يتخرج أن يؤدي مثل هذا الإجتهد إلى فوضى فكرياً بسبب كثرة الأخطاء، لأنه يرى أن تباين وجهات النظر والحرية الواسعة هي الوسيلة الوحيدة لتقدم الأمة.⁹

وقد أكد سيد أحمد خان عن طريق خطبه ورسائله ومقالاته على أهمية الإجتهد وضرورته، فيقول في إحدى مقالاته عنونها: "حاجة أهل السنة والجماعة إلى مجتهد" يقول ما معناه: "أن ما ينص عليه المذهب الشيعي الإمامي حول ضرورة تواجد مجتهد في كل عصر فرأى مقبول ودقيق، فإنه لا يخلو زمن من الأزمان عن مجتهد ذلك العصر، إلا أن المتأخرين من أهل السنة والجماعة اخطؤوا حيث ادعوا غلق باب الإجتهد واعتقدوا عدم إمكانية وجود مجتهد فما افدح خطأ أهل السنة والجماعة. فإن هذا المعتقد الفاسد قد اضر بنا نحن

⁹ Bistami, Muhammad Saeed, *Mafhhom Tajdid Din*, P. 121-122.

المسلمين أهما ضرر سواء في الدين أو في الدنيا، فالواجب علينا اذا: أن نقوم بالبحث والتدقيق في جميع القضايا الدينية منها والدينية، فالحياة الإنسانية دائما عرضة للمستجدات والنوازل، واذا افترضنا عدم وجود علماء مجتهدين من الأحياء فهل ترجع الأمة عند حدوث قضايا جديدة إلى من انتقلوا إلى رحمة الله! ولذا وجود مجتهدين في كل عصر وزمان أمر لازم".¹⁰

ونتخلص إلى أن سيد أحمد خان يبالغ في التأكيد على ضرورة الاجتهاد بالرأي المحض ويعتبره من الحقوق الأساسية لكل مسلم يجب عليه ممارسته، أما بالنسبة للتراث الحديثي فينظر إليها نظرة ارتياب وتشكيك ويقرر كما اسلفنا بأن الأحاديث ليست موضع ثقة بتاتا، اضعف إلى ذلك أنه يرى أن الإجماع ليس حكراً على علماء الفقه والقانون كما أنه أراد من وراء كتاباته أن يثبت أن حقائق الإسلام وتعاليمه لا تتعارض مطلقاً مع قوانين الطبيعة وما وصلت إليه المدنية والحضارة الغربية لأن القرآن هو كلمة الله وقوانين الطبيعة هي فعل الله ولا يتعارض كلامه مع فعله، ومن أجل ذلك الهدف وضع تفسيراً خالف فيه كلام العرب وآراء السلف وإجماعهم لمحاولته تأويل ما ظنه تعارضاً بين كلام الله وبين قوانين الطبيعة¹¹، ويتضح لنا من فكر سيد أحمد خان وآرائه صورة نهجه وطريقته للملائمة بين الإسلام والعصر الحديث. وقد أصبح منهجه ذاك مدرسة فكرية تأثر بها تلاميذه وخلفائه إلى اليوم، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ، شراغ علي وأمير علي، وخدا بخش الشاعر، غلام أحمد برويز، وخليفته عبدالحكيم، ومولانا محمد علي، أحد قادة حركة الأحمديّة. وهؤلاء الخلفاء حملوا فكره واتبعوا طريقته، وهم نماذج لمدرسة العصرية ودعاة التحديث في الهند.

12

¹⁰ Aziz Ahmed, *Barr-e-Saghir Men Islami Jadidiat*, P. 85.

¹¹ Ibid. p. 85.

¹² Pani Patti, Shaikh Muhammad Ismail, *Maqalat Sir Sayed*, P. 290-291.

3. جمال الدين الأفغاني: مُجد بن صفدر الحسيني جمال الدين، فيلسوف الإسلام في عصره وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد (أفغانستان) ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية وبرع في الرياضيات وسافر إلى الهند وعاد إلى وطنه فأقام بكابل وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد دوست مُجد خان ثم رحل مارا بالهند ومصر وأقام في مصر ونفخ فيها روح النهضة الإصلاحية في الدين والسياسة وتلمذ له نابغة مصر الشيخ مُجد عبده وكثيرون. وتوفي سنة 1363هـ وكان عارفاً باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريّة والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية، وإذا بالعربية فلغته الفصحى. واسع الإطلاع على العلوم القديمة والحديثة، كريم الأخلاق كبير العقل. لم يكثر من التصنيف اعتماداً على ما كان يثته في نفوس العاملين وانصرافاً إلى الدعوة بالسر والعلن.¹³

إن حركة جمال الدين الأفغاني هي في واقع الأمر امتداد للكفاح الإسلامي في تاريخ الجماعة الإسلامية وليست حركة منعزلة عن غيرها، أن أساسها كأساس آية حركة كفاحية إسلامية ماضية، وغايتها ذات الغاية بهذه الحركات جميعها.

يدعو الأفغاني إلى الترابط الوثيق بين المسلمين وغير المسلمين في الأوطان الإسلامية وإلى عدم التمييز بين مسلم وغير مسلم -فتبدو دعوته هذه في مظهر الشرقية أو الوطنية- تبدو سياسية، ولذلك يميل بعض المؤرخون لجمال الدين إلى أن يسمى حركته هذه حركة الشرقية. ولكن في دعوته هذه هو مسلم، وعمله عمل إسلامي لأنه يستند إلى الإسلام في تاريخ الفتوح، وفي تعاليمه في الصلة بين المسلم وغيره، سواء في مكان واحد أو مكانين مختلفين يدعو إلى نبذ الخصومة بين الشيعة والسنية، يؤلف بين سلطين قويتين في رقعة العالم الإسلامي إذ ذاك! بين سلطة إيران وسلطة القسطنطينية بعد ذهاب دولة الهند

¹³ Al-Zirkili, Khairuddin, *Al-A'alam*, Darul Ilm Lilmalayeen, Beirut, 1984, vol. 6. P. 126.

رؤي المفكرين المعاصرين حول إعادة صياغة القانون الإسلامي

الإسلامية، فيبدو لذلك سياسيا أو وسيطا في مجال السياسة، ولكنه يدعو بدعوة السلام في ذلك.¹⁴

أما عن المصادر الشريعة فيقول: القرآن وحده هو سبب الهداية، والعمدة في الدعاية وما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم فينبغي أن لا نعول عليه كوحى، وإنما نستأنس به كرأي..... ولا نحمله على أكتافنا مع القرآن في الدعوة إليه، وإرشاد الأمم إلى تعاليمه... وتفسيره واضاعة الوقت في عرضه.¹⁵

وبهذا يكون هناك عنده مصدر مؤكد: هو القرآن، و ما في منزلته من السنة المتواترة، والإجماع وأعمال النبي المتواترة إلى اليوم هي السنة الصحيحة التي تدخل من مفهوم القرآن، والدعوة إلى القرآن وحده. و مصدر غير مؤكد: يصح أن يستأنس به، ولكن يجب أن لا يؤخذ به، وهو ما تجمع حول القرآن من آراء المسلمين و شروحه للإسلام.¹⁶ و يقول: إن الإجماع هو إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على عمل أو أمر من أمور الشريعة لم يقع في عهد الرسول ﷺ.¹⁷

أما بالنسبة للإجتهد: فيذكر البرت هوراني عن فكرته حول استمرارية الإجتهد، حيث يقول: أن باب الإجتهد لم يغلق قط وأنه يحق لأهل العلم بل يجب عليهم أن يمارسوا تطبيق تعاليم القرآن بخصوص القضايا المعاصرة التي تعرض لمجتمعهم، وإهمال ذلك الواجب يؤدي إلى ماساة التقليد والجمود الفكري، بل قد يعتبر ذلك المعادة للدين الإسلامي الحق، تماما كما أن المادية معادية للإسلام.¹⁸

¹⁴ Al-Bahi, Muhammad, *Al-fikr Islami Al-hadith wa silatuhu Bil-Ist'imar al-Gharbi*, Maktabah wahbatul A'bidin, 1964, P. 84.

¹⁵ Ibid. p. 84

¹⁶ Ibid. p. 84

¹⁷ Ibid. p. 84-85

¹⁸ Albert Hourani, *Arabic Thought in the liberal Age 1798-1939*, Oxford University Press, London, 1967, P.127.

نرى جمال الدين الأفغاني: يحمل على السيد أحمد خان و ينقد اتجاهه الطبيعي نقداً مرّاً في كتابه سماه "الرد على الدهريين" وفي الوقت نفسه يدعو المسلمين جميعاً إلى العودة إلى القرآن الكريم، و نبذ الخصومة المذهبية والرجوع إلى حال المسلمين الأول قبل انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع العباسيون باسم الخلافة، دون أن يحوزوا شرف العلم و التفقه في الدين والإجتهد في أصوله و فروعها، كما كان الراشدون رضى الله عنهم.

19

مات جمال الدين في سنة 1897م- بعد صراع عنيف مع الإستعمار الغربي استمر قرابة ثلاثين عاماً، ولكن ما ان توفى عليه رحمة الله، حتى انتشر كفاحه و إتجاهه في التفكير في جميع أنحاء العالم الإسلامي و بخاصة في تلك الأنحاء التي تسلط فيها الأجنبي و عبث بمقدسات المسلمين و بكراماتهم واقتصادياتهم ومواردهم في الثروة الطبيعية.

مات جمال الدين في إستامبول و ظهر أثره:

- في مصر في مُجَدَّ عبده و مدرسته،*

- و في الجزائر: في جمعية علماء الجزائر المؤسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس المتوفى 1940 م.

¹⁹ Al-Bahi, Muhammad, *Al-fikr Islami Al-hadith*, P. 85-86

*دعوة الشيخ مُجَدَّ عبده لإصلاح الأزهر صادفتها دعوة مماثلة في الجزائر عن طريق "جمعية العلماء" التي حرصت كل الحرص على تحويل أكبر عدد ممكن من المدارس الأولية في القرى إلى مجال تحفيظ القرآن الكريم، إبقاء على اللغة العربية وعلى الروح الإسلامية والشعور بإخاء الإسلامي..... وذلك الذي بدأ أثره واضحاً اليوم في الكفاح الدموي بين مسلمي الجزائر والإستعمار الغربي، ولم يؤثر قرن وربع من الزمان على تلك الروح! و فات على المستعمر مقصد الذي طالما سعى لتحقيقه المستعمر بمحاربة اللغة العربية و منعها من التداول إلا في نطاق ضيق و كذا بتشوية الإسلام عن طريق الإرساليات التبشيرية و ما يسميه بالبحوث العلمانية و بحوث المستشرقين، أصحاب الرأي والمشورة في توجيه السياسة الإستعمارية في الشرق الإسلامية. د - مُجَدَّ البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ص-98-99.

- و في إندونيسيا: في حركة تجديد المنار.
- و في الهند: في جماعة أهل الحديث - و في ندوة العلماء في رائدها محمد شبلي نعماني ت 1941 م، و في أزهر الهند في مدرسة دار العلوم في ديوبند التي نقلت بعد التقسيم 1947 م إلى باكستان.
- و كل هذه الحركات نجد لديها هدفاً واحداً: هو تحرير الوطن الإسلامي من الإستعمار الغربي، ومحاربة الإتجاه الإستعماري في التفكير.²⁰
4. محمد إقبال: ولد محمد إقبال في سيالكوت بالبنجاب عام 1873م - في عائلة تعيش على الزراعة - نزع جدها الأكبر عن كشمير.
- تلقي إقبال تعليمه في طفولته عن أبيه ثم ادخل مكتباً ليتعلم القرآن. ثم التحق الصبي بمدرسة بعثة الإسكندرية في سيالكوت ليكون في رعاية صديق لأبيه يدرس فيها، وهو مولانا مير حسن، كان أستاذاً أديباً متضلعا في الآداب الفارسية والعربية. وبعد أن حصل على شهادة الكلية الإسكندرية بدرجة ممتاز التحق بكلية الحكومة بلاهور حيث اتم دراسته. وهناك تتلمذ على المستشرق الكبير سير توماس رانولد. ومن هذه الكلية حصل على درجتين علميتين كبيرتين. وبعد أن أتم علومه في هذه الكلية، اختير لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بلاهور، ثم نصب لتدريس الفلسفة واللغة الإنجليزية بكلية الحكومة التي تخرج فيها.
- وفي عام 1905م التحق إقبال بكمبرج (في إنجلترا) ثم بهيدلبرج (في ألمانيا) ثم بميونخ (في ألمانيا) حيث حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة بعد أن قدم رسالته عن تطور الفكرة العقلية بإيران. وفي سنة 1908م حصل على درجة القانون، وفي هذه السنة عاد إقبال إلى وطنه.

²⁰ Ibid. p. 94

ومع أن إقبال كان شاعراً وفلسوفاً، إلا أنه لم يقطع صلته بالسياسة، فكان عضواً بالمجلس التشريعي بالبنجاب وذهب إلى لندن ليشترك في عامي 1931م و 1932م في مؤتمر الدائرة المستديرة وكان رئيساً لحزب مسلمي الهند، كما كان مراقباً لمؤتمر (اله آباد) ورئيساً لجمعية حماية الإسلام، التي كانت تشرف على عدد من المؤسسات. ومات إقبال 21 أبريل سنة 1938م ودفن بـ²¹بلاهور.

و إقبال هو أول من نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس، ووجوب تكوين دولة خاصة بهم يستطيعون فيها أن يظهروا روعة الإسلام، وأن يحيوا الحياة التي تتمشي الدين الحنيف، ومنذ أن أعلن إقبال هذه الفكرة في عام 1930م أصبحت الهدف الرئيسي الذي جاهد للسلم شبه القارة لتحقيقه إلى أن تم لهم ذلك في أغسطس 1947م بعد نضال مرير متواصل اشترك فيه جميع المسلمين تحت قيادة القائد أعظم محمد علي جناح.²² إن العمل العظيم الذي أداه الدكتور محمد إقبال في مجال الإصلاح له قيمة كبرى لا ينساها التاريخ الإسلامي، والعمل المهم الذي أنجزه محمد إقبال هو أنه أعلن حرباً لا هوادة فيها ضد الغرب و حضارته المادية، فقد كان الرجل الوحيد في عصره الذي لا يدانيه أحد في تعمقه في فلسفة الغرب ومعرفته بحضارته وحياته، فلما نحض يفند فلسفته و أفكاره المادية بدأ يذوب سحر الحضارة الغربية الذي كان يبهر القلوب ويستولى على النفوس.²³

إنه يرى أن القرآن هو الأصل للتشريع الإسلامية، وليس من شك في أن القرآن يقرر بعض المبادئ والأحكام العامة في التشريع، ولكن القرآن ليس مدونة في قانون، فغرضه الأساسي هو أن يبعث في نفس الإنسان أسمى مراتب الشعور بما بينه وبين الله وبينه وبين الكون من صلات. على أن الأمر الجديد بالملاحظة في هذا الصدد هو أن القرآن يعتبر الكون

²¹ Danish Gah Punjab, Urdu, Dairatul Maarif Islamiah vol. 16, p. 73.

²² Sifaratul Bakistaniah, Al-Qahirah, Nashria Iqbal, Cairo, 1956.

²³ Muhammad Iqbal, Dr. Tashkeel Tajdeed. Al-Ilahyat al- Islamiyah, p. 26; Muhammad Khalid Masood, Dr. Iqbal ka Tasawwur Ijtehad, P. 146-147.

متغيراً، ومن الواضح الجلي أن القرآن بما له من هذه النظرة لا يمكن أن يكون خصماً للتطور، وأن المبادئ التشريعية في القرآن رحبة واسعة وأبعد ما تكون عن سد الطريق على التفكير الإنساني والنشاط التشريعي، وأن الرعيل الأول من الفقهاء اعتمدوا على هذه المبادئ واستنبطوا عدداً من النظم التشريعية على أن مذاهبهم مع احاطتها وشمولها ليست إلا تفسيرات فردية وهم لم يزعموا أبداً أن تفسيرهم للأمور واستنباطهم للأحكام هو آخر كلمة تقال فيها، وبما أن الأحوال قد تغيرت والعالم الإسلامي يتأثر اليوم بما يواجهه من قوى جديدة، فالرأي عنده أن ما ينادى به الجيل الحاضر من أحرار الفكر في الإسلام من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيراً جديداً، على ضوء تجاربهم و على هدي ما تقلب على حياة العصر من أحوال متغايرة هو رأي له ما يسوغه كل التسويغ.²⁴

ثم ينتقل إلى أحاديث الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم التي هي الأصل الثاني العظيم للشريعة، وينقل رأي المستشرق جولد زيهير بأن إخضاع الأحاديث للفحص الدقيق على ضوء القوانين المستحدثة في النقد التاريخي، يظهر أنها لا يوثق بصحتها.

ثم يتناول بالبحث مسألة يعتبرها هامة، وهي أن الفرق بين الأحاديث التي تتضمن أحكاماً تشريعية والأحاديث التي ليس لها طابع تشريعي. وحتى السنة التشريعية يرى أن يبحث عن مدى ما تضمنته من عادات كانت للعرب قبل الإسلام، فتركها الإسلام دون تغيير، وأخرى ادخل فيها النبي تعديلاً. وهل قبول النبي لها تصريحاً أو ضمناً قد أريد بها أن تكون ذات صفة عامة في تطبيقها.

²⁴ Iqbal Sheikh, *Iqbal Nama*, Majmooa' Makaatib Iqbal, Lahore, P. 48-52; Bistami, Muhammad Saeed, *Mafhhom Tajdid Din*, P. 139-140.

ويستشهد بأن أبا حنيفة لم يكن أحياناً يعتمد على هذه الأحاديث، وذلك في نظره موقف جد سليم ثم يقول إذا رأى أصحاب النزعة الحرة في التفكير العصري، أنه من الأسلم أن لا تتخذ هذه الأحاديث من أدنى تفريق بينها، أصلاً من أصول التشريع بين أهل السنة.²⁵

والإجماع عند إقبال الذي هو الأصل الثالث من أصول التشريع الإسلامي قد يكون من أهم الأفكار التشريعية في الإسلام، وهو يرى ضرورة انتقال حق الاجتهاد من الأفراد إلى هيئة تشريعية إسلامية، لأن ذلك هو الشكل الوحيد الذي يمكن أن يتخذه الإجماع في الأزمنة الحديثة، لأن هذا الانتقال يكفل للمناقشات التشريعية الإفادة من آراء قوم من غير رجال الدين ممن يكون لهم بصر نافذ في شؤون الحياة. وهو يتوقع لمثل هذه الهيئة التشريعية أن تخطئ خطأ فاحشاً في تفسير الشريعة، لأنها قد تتألف من رجال ليست لهم دراية بوقائع التشريع الإسلامي، ولكنه يستبعد أن يكون الحل تأليف لجنة دينية مستقلة، تكون لها سلطة الرقابة ويرى أن العلاج، الوحيد الناجع للتقليل من وقوع الأخطاء في التأويل، وهو إصلاح نظام التعليم القانوني وتوسيع مده.²⁶

ثم يتساءل عن إجماع الصحابة وهل إذا انعقد إجماعهم على أمر ما يكون ملزماً للأجيال التي بعدهم ويخلص إلى أن القول الجريء في ذلك هو أن الأجيال اللاحقة ليست ملزمة بإجماع الصحابة.

والأصل الرابع من أصول الفقه هو قياس ويرى إقبال أن القياس كان في الأصل ستاراً يتوارى خلفه الرأي الشخصي للمجتهد، وأن النقد الدقيق الذي وجه لمبدأ القياس كان يهدف إلى كبح الميل إلى إثارة النظر المجرد والفكرة التي تدور في العقل على الأمر الواقع، على أن المتقدمين أنفسهم وقعوا في خطأ آخر، وهو أنهم رغم إدراكهم ما للواقع من شأن،

²⁵ Ibid. 48-52.

²⁶ S.M. Yousuf: *A Study Of Iqbals Views On Ijma*, Iqbal Review, 3.3-OCT 1962, P.17-25.

إلا أنهم في الوقت نفسه جعلوه ثابتاً إلى الأبد وقصروا نظرهم على السابقات التي وقعت بالفعل في أيام النبي وصحابته، ثم يدعوا إلى إحسان فهم و تطبيق مبدأ القياس وهو أنه حق طليق في حدود النصوص الملزمة.²⁷

4.1 الاجتهاد عند إقبال:

يقول عن الاجتهاد: ولا ريب عندي في أن التعمق في درس كتب الفقه والتشريع الهائلة العدد، لا بد أن يجعل الناقد بمنجاة من الرأي السطحي الذي يقول بأن شريعة الإسلام شريعة جامدة غير قابلة للتطور. ومن سوء الحظ أن جمهور المسلمين المتمسكين بالقديم في بلدنا هذا، لم يستكملوا الأهلية بعد لدرس الفقه دراسة نقدية. ومن المرجح أن مثل هذه الدراسة إذا حدثت تسوء معظم الناس وتثير خلافات مذهبية على أنني سأغامر بإبداء بعض الملاحظات عن النقطة التي نبحثها الآن:

فأولاً: ينبغي أن نذكر أنه منذ ظهور الإسلام إلى قيام الدولة العباسية تقريباً، لم يكن قد دون شرائع الإسلام سوى القرآن.

ثانياً: مما هو جدير بالملاحظة أنه منذ حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، ظهر ما لا يقل عن تسع عشرة مدرسة من مدارس الفقه والرأي الشرعي في الإسلام. وهذه الحقيقة وحدها كافية في بيان مقدار ما بذل فقهاءنا المتقدمون من جهد موصول لمواجهة ما تستلزمه حضارة نامية. وكان لابد لهؤلاء الأصوليين — مع إمتداد الفتوح وما نشأ عنه من إتساع رقعة الإسلام — من أن يصطنعوا رأياً في الأمور أكثر رحابة و أن يدرسوا الظروف المحلية للحياة وعادات الشعوب الجديدة التي دخلت في حظيرة الإسلام. والدرس الدقيق لمدارس الرأي الفقهي على إختلافها، في ضوء التاريخ السياسي والإجتماعي المعاصرين،

²⁷ Bistami, Muhammad Saeed, Mafhoom Tajdeeduddin, P. 141-149.

يكشف عن أن المشرعين تحولوا شيئاً فشيئاً عن طريقة الإستنباط في تأويلهم إلى طريقة الإستقراء.

ثالثاً: عندما ندرس أصول الفقه الإسلامي الأربعة المتفق عليها، وما ثار حولها من خلاف، فإن ذلك الجمود المزعوم عن مذاهبنا المتعرف بها ويبدوا للعيان إمكان حدوث تطور جديد.²⁸

والآن إذا كانت عقيدة ختم الرسالة حافزة للإنسان المعتقد بها على عدم الإنتظار والترقب، والبدء بعمل الإنسان كإنسان، وهو العمل الفكري. فإن مبدأ الإجتهد يدفع الإنسان للتفكير، خاصة في مجال التعاليم الدينية، وإخضاع أحداث الحياة المتجددة، المستمرة في التجدد، وتكييفها بكيفية إسلامية.²⁹

شرح بعض المبادئ الإسلامية: كختم الرسالة والتوحيد والإجتهد على أنها عوامل تدفع الإنسان إلى الحركة والسعي في هذا العالم والواقعي.

وإذن ينبغي إقبال من إصلاح الفكر الديني في الإسلام، أن تعود القوة للمسلم وأن يرى قوته هذه ليست في إتباع فلسفة من فلسفات الغرب بل في فهم الإسلام فهماً صحيحاً، على نحو ما فهمه الأوائل، لا على نحو ما صار إليه الأمر في عهد الركود.

وفهم الإسلام فهماً صحيحاً ليتمكن المسلم من السطيرة على الواقع والطبيعة. كما تمكن الغربي منها، وفي الوقت نفسه سيبعد عنه جفاف حياة الغربي، وقلقه النفسي فيها، وسيجعله أكثر إلماماً بالحقيقة.³⁰

²⁸ Al-Bahi, Muhammad, *Al-fikr Islami Al-hadith*, p. 411-412.

²⁹ Ibid. p. 398-399.

³⁰ Ibid. p. 399-413.

وعلى هذه الأسس يدعو إقبال العالم الإسلامي أن يقدم بشجاعة على إتمام التجديد الذي ينتظره، الذي من أهم نواحيه الملاءمة مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها. إلا أن إقبال يضيف بعض التحفظات هي من خير ما يكتب في هذا الفصل حين يقول:

"إننا نرحب من أعماق قلوبنا بتحرير الفكر في الإسلام الحديث، ولكن ينبغي لنا أن نقرر أيضاً أن لحظة ظهور الأفكار الحرة في الإسلام هي من أدق اللحظات في تاريخه، فحرية الفكر من شأنها أن تنزع إلى أن تكون من عوامل الانحلال أضف إلى هذا أن زعماء الإصلاح في الدين والسياسة قد يجاوزون في حماسهم لتحرير الفكر الحدود الصحيحة للإصلاح إذا انعدم ما يكبح جماح حميتهم الفتية. أنه ينبغي أن لا ننسى أن الوجود ليس تغيراً صرفاً فحسب، ولكنه ينطوي أيضاً على عناصر تنزع إلى الإبقاء على القديم. فليس في استطاعة أمة أن تكون تنكر لماضيها تنكراً تاماً لأن الماضي هو الذي كيف شخصيتها الحاضرة.³¹

5. خلاصة الحث:

يتضح من خلال العرض آراء ووجهات نظر رجال فكر والإصلاح العصريين قيد الدراسة أن معظمهم يرون أن التراث الفقهي قاصر عن تلبية حاجات الأمة الإسلامية المستجدة على الوجه المطلوب في عصرنا الحاضر بل أنهم يعتقدون أن جزء لا يستهان به من الفقه التقليدي قد أكل عليه الدهر وشرب ولم يعد ساري المفعول كما يزعمون أن السبب الرئيس لهيمنة وشيوع القوانين الغربية في العالم الإسلامي إنما يرجع إلى الجمود الفكري ولتجحر العقلي لدى العلماء المسلمين وإغفالهم جانب الاجتهاد.

³¹ Bistami, Muhammad Saeed, *Maafhhom Tajdid Din*, P. 141-142.

وطمعاً في تطبيق الشريعة الإسلامية في مناحي الحياة المختلفة الاجتماعية منها وسياسية والإقتصادية للأمة الإسلامية فهم يؤكدون على ضرورة إعادة صياغة الفقه الإسلامي من جديد بدلاً من الإقتصار على جمعه وتدينه فقط.

ولذا فهم يلحون على إعادة النظر في مصادر الفقه الإسلامي المعروفة، إضافة إلى تأييدهم لفكرة الإجتهد الجماعي ويريدون بذلك تحرير مهمة الإجتهد من إحتكار العلماء وأهل الفقه التقليديين ويقترحون إسنادها للمجالس التشريعية في البلاد.

ولا يمكن إنكار ما لعبت آراء هؤلاء الزعماء من دور مشكور في توعية الشعوب وإيقاظ الهمم في المجالات العلمية والفكرية وتوجيه العلماء التقليديين في العالم الإسلامي نحو ضرورة إعادة صياغة القانون الإسلامي عن طريق إتباع منهج الإجتهد الجماعي وكان لهذا النداء صراء في العالم الإسلامي حيث انشئت نتيجة لذلك مجامع فقهية تقوم بدورها في التوسل إلى إيجاد حلول للمشاكل التي يواجهها المسلم المعاصر.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International \(CC BY-NC-SA 4.0\)](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)